

الرأي التخطيطي في مقترح مشروع تطوير

مركز مدينة النجف الأشرف وتوسعة الروضة الحيدرية

الأستاذ الدكتور المهندس حيدر عبد الرزاق كمونة^(*)

في ما يأتي محاولة متواضعة لمناقشة ما ورد من فكر تخطيطي في مقترح مشروع تطوير مركز مدينة النجف الأشرف وتوسعة الروضة الحيدرية للدكتور محمد رؤوف الأنصاري، المنشور في صحيفة المهجر إذ لاحظنا وجود تناقضات فكرية وتخطيطية في المقترح، وقد حاولنا مناقشتها في إطار علمي.

أشار د. محمد رؤوف الأنصاري في بداية مقالته الى ما تعرضت اليه المدينة المقدسة عامة، والروضة الحيدرية ومجاوراتها بخاصة من شتى ضروب الأضرار والتخريب المتعمد وغير المتعمد.... إلخ، قائلاً: «لقد ألحقت بمدينة الأشرف خلال العقود الثلاثة الأخيرة شتى ضروب الأضرار والتخريب المتعمد وغير المتعمد، أحياناً بسبب التخلف في الرؤية العمرانية والفنية والفكرية، وذلك نتيجة للتعصب والنظرة الضيقة للنظام البائد، من دون الالتفات الى بيئتها ونسيجها العمراني الخاص مما ادى الى تشويه مركز المدينة بصورة ملفتة للنظر ولاسيما المناطق المحيطة بالروضة الحيدرية، ولعل ما قام به النظام البائد منذ العام ١٩٩١ من تهديم لمساحات واسعة في مركز المدينة خصوصاً في منطقة العمارة بحجة توسيع هذه المنطقة وتطويرها ومن دون وضع دراسة علمية لإعادة تخطيطها وتصميمها يمثل ذروة التخريب والإهمال. ومن المؤكد أن غياب الحلول والمعالجات الصحيحة أدى الى فقدان هذه المدينة المقدسة للعديد من معالمها الاسلامية المميزة».

نبتداً بهذه الفقرة التي تمثل مقدمة التحقيق، ويظهر من خلال هذه المقدمة اليسيرة أن المهندس الاستشاري يوضح أن النظام البائد قد ألحق ضرراً كبيراً ببنية مدينة النجف معمارياً

(*) الأستاذ الأول المتمرس في جامعة بغداد - المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي.

وتخطيطياً «من خلال تهديمه لمساحات واسعة في مركز المدينة»، ويضيف «ومن المؤكد أن غياب الحلول والمعالجات الصحيحة أدى الى فقدان هذه المدينة المقدسة للعديد من معالمها الإسلامية المميزة»، ويظهر من هذا الطرح أن المهندس الاستشاري ضد مسألة تهديم مساحات حول مرقد الإمام بسبب تمزيقه للنسيج الحضري.

ثم يعود في نهاية المقدمة فيؤكد على أهمية الحفاظ على هذه المعالم المعمارية، والنسيج التخطيطي للمدينة فيقول: «لقد كانت هذه المناطق المحيطة بالروضة الحيدرية من ناحية الهيكل العمراني قبل تدميرها وإزالة عدد كبير من أبنيتها وتشويه البعض الآخر في زمن النظام البائد بمثابة وحدة عمرانية متكاملة محورها الروضة الحيدرية. وهي تمثل كافة العلاقات والتفاعلات، وإن هذه العلاقة والتفاعل يبدو واضحاً في كافة المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعمرانية».

ثم يتبع هذه الفقرة بأخرى تشير الى أهمية المحافظة على النسيج العمراني بسبب كونه يعطي المدينة هويتها المحافظة. «من الناحية الاجتماعية: كانت هذه المنطقة بمكائنها العريقة وتقاليدها الموروثة تمنح مدينة النجف الأشرف هويتها المحافظة، وكانت الى سنوات قريبة وما زالت مركز تجمع سكان المدينة ومحور حياتهم».

ومن ثم يقول: «من الناحية الاقتصادية: كانت هذه المنطقة وما زالت عصب الحياة التجارية للمدينة بمظاهرها المختلفة التقليدية او الحديثة، حيث يمثل السوق الكبير الممتد من ساحة الامام علي عليه السلام الى مدخل الروضة الحيدرية أحد اهم الاسواق القديمة في المدينة والذي يزدحم بالزوار والسكان طيلة أيام السنة. وتتوزع في هذا السوق المحلات التجارية التي تباع فيها البضائع بأنواعها المختلفة، وكان محوره وما يزال مركز حركة المشاة الرئيسة المؤدي الى الروضة الحيدرية». إذ يؤكد أهمية الناحية الاقتصادية ومكانة السوق القديم في هذه المدينة، فهو يؤكد أهميته واعتباره محوراً لحركة المشاة الرئيسة المؤدية الى الروضة الحيدرية المطهرة، ويعتبره علامة مميزة لمدينة النجف الأشرف.

وفي الفقرة الخاصة بالناحية العمرانية يقول: «من الناحية العمرانية: إن ابرز مشاكل مدينة النجف الأشرف القديمة تتجسد في الواقع، بتحول المنطقة (مركز المدينة) خصوصاً المنطقة المحيطة بالروضة الى منطقة مهدامة، حيث تعرضت الى التشويه العمراني من قبل النظام البائد بحجة إعادة تطويرها وإعمارها. من هنا جاء تأكيدنا ضمن مشروع إعادة تخطيط مدينة النجف الأشرف على الأهمية الكبيرة لإعادة إحياء الشخصية العمرانية التاريخية لمركز المدينة باعتباره

الضمانة الجوهرية لإعادة نشاط تلك الفعاليات ولإيجاد مساحات وفضاءات واسعة تستوعب مئات الآلاف من الزائرين الذين يصل عددهم أحياناً في المناسبات الدينية المهمة الى ثلاثة أو اربعة ملايين زائر من داخل وخارج العراق».

إذ أكد على دور النظام البائد في تهديم عناصر معمارية مهمة، وإن ما حدث في المنطقة من تغيير هو في الحقيقة تشويه لها، واهمية اعادة احياء تاريخ المدينة وشخصيتها العمرانية.

ثم يتطرق الى الاهداف المرجو تحقيقها في هذا المشروع: «ونعرض هنا الخطوط المقترحة للتخطيط والتطوير العمراني لمركز المدينة: فقد حاولنا في المشروع التصميمي المقترح الحفاظ قدر الامكان على المعالم التاريخية والدينية في المدينة القديمة، والتأكيد على تكامل وترابط الأبنية الجديدة المقترحة مع عمارة الروضة الحيدرية والمناطق المحيطة بها، وضمان استمرارية حركة المشاة باتجاه الروضة بكل سهولة ويسر. ان الهدف الذي نسعى لتحقيقه بذلك هو التأكيد على الهوية الدينية والثقافية للمركز التاريخي لمدينة النجف الأشرف وإبراز مكانتها العمرانية وإعادة إحياء رصيدها التراثي الأصيل».

فاذاً أهدافه هي:

للمحافظة قدر الامكان على المعالم التاريخية والدينية في المدينة القديمة.

للمتأكد على تكامل وترابط الأبنية الجديدة المقترحة مع عمارة الروضة الحيدرية والمناطق المحيطة بها.

للمستمرارية حركة المشاة باتجاه الروضة بكل سهولة ويسر.

للمتأكد على الهوية الدينية والثقافية لمدينة النجف الأشرف وإبراز مكانتها العمرانية وإعادة إحياء رصيدها التراثي الأصيل.

تبع ذلك عرض لمشروع التطوير، الذي لخصه بفقرتين، ونبداً بالأولى، إذ قال: «اولاً: مقترح ايجاد صحن واسع يحيط بالروضة الحيدرية من جهاتها الأربعة وعلى مسافة ٦٠ متراً من كل جهة. وهي المسافة المقررة من قبل الدوائر الحكومية ذات العلاقة، تحيط بالصحن المقترح الأواوين المؤلفة من طابقين والتي تشبه في طرازها المعماري أواوين الروضة، بحيث يكون الصحن المقترح مع عمارة الروضة كياناً واحداً متكاملًا ومتجانساً وذلك للحفاظ على النسيج العمراني، وكذلك لاستيعاب الأعداد الهائلة من الزائرين. ويفتح على صحن الروضة عبر البوابات التقليدية الموجودة، اما من الخارج فيفتح عبر بوابات جديدة تقابل بوابات الروضة، وهنا بدأ مقترحه بخلق «صحن واسع يحيط بالروضة الحيدرية من جهاتها الأربعة، متناسياً ما أكد عليه في بداية

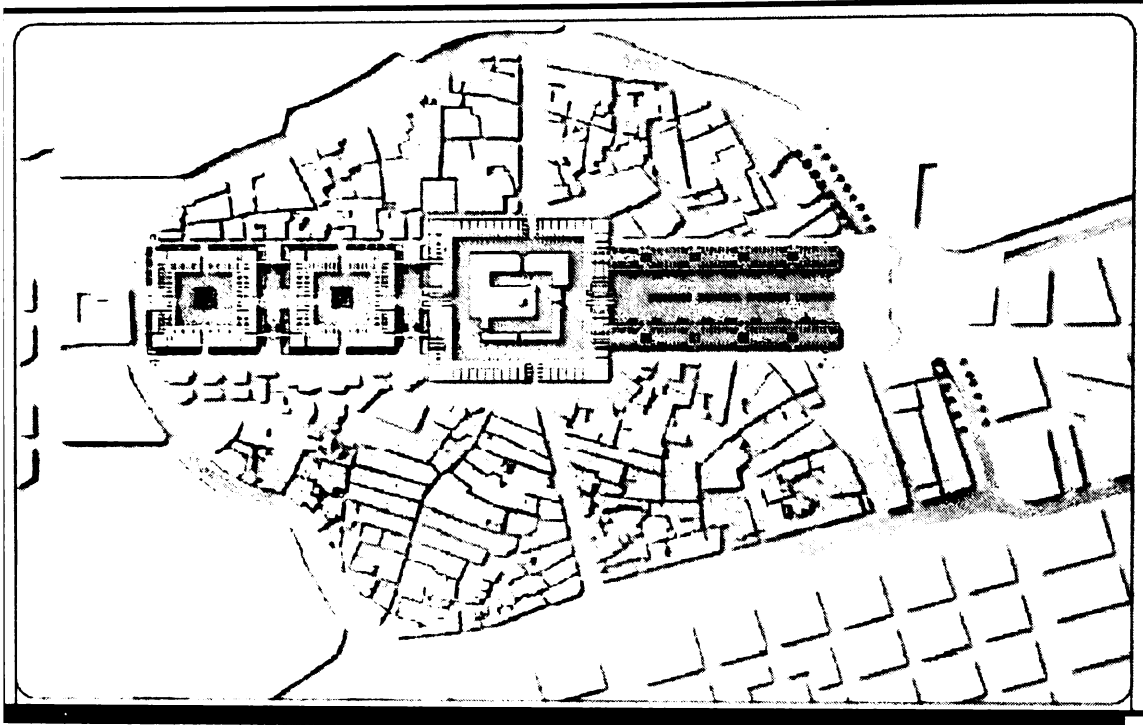
طرحه للمشروع من ضرورة واهمية الحفاظ على النسيج العمراني القديم للمنطقة ومحاولة احيائه بعد عمليات التخريب التي تعرض لها في عهد النظام السابق، والذي يؤكد هذا التناقض المسافة المقترحة بين الروضة والصحن الجديد المقترح والتي تبلغ ٦٠ م مما يعني انه سيتم تهديم عنصر معماري قديم وقريب من الروضة والذي أكد على الحفاظ عليه بوصفه إراثاً خاصاً بالمدينة ألا هو السوق القديم!! كما انه ذكر ان هذه المسافة أقرتها دوائر حكومية ذات علاقة، فمن هي هذه الدوائر التي توافق على تدمير او تشويه هذا الارث المعماري القديم؟ كما ان هذا الصحن سيفقد الصحن الموجود ميزته التكوينية للمرقد اذ سيصبح بديلاً للصحن الاصلي وبذلك ادى الى تغيير اصالة المبنى الذي يتميز بجذوره التاريخية.

ومن المنطلق نفسه نجده يخالف أهم مميزات النسيج الحضري المحيط بالمرقد ألا هي العضوية والترابط، اذ ينقل المتحرك داخل الازقة الى حالة الخشوع اللاشعورية والخضوع والاحساس بصغر الحجم عند الوصول الى المرقد اذ ينتقل مباشرة الى الفضاء الواسع (الصحن) بعد ان كان ضمن نظام الازقة الضيقة المتعرجة، والمقياس الانساني ضمن اجزاء النسيج وكل ذلك نرى ما يناقضه في مخطط مشروع التطوير (شكل ١).

اما الفقرة الثانية: «ثانياً: المنطقة الواقعة بين ساحة الإمام علي عليه السلام او (ساحة الميدان) والروضة الحيدرية. وهي من اهم المناطق الموجودة في مركز المدينة ومحور حركة سير الزائرين الى الروضة والمحصورة بين شارع الإمام الصادق والإمام زين العابدين عليه السلام والتي تشمل أيضاً السوق الكبير. المقترح هو ايجاد صحن واسع مفتوح من جهة الإمام علي عليه السلام وهذا يعتبر من أكثر الحلول عملية. ويكون الصحن امتداداً طبيعياً لفضائي صحن الروضة الحيدرية والصحن المقترح الجديد الذي يحيط بالروضة كمركز للتكوين الفضائي وعنصر مهيمن في مركز المدينة، وكذلك الحفاظ على حرمة وهوية الروضة. ويكون الارتباط الفضائي بين عمارة الروضة والصحن المقترح عبر البوابات المقترحة المتصلة بالصحن المقترح المحيط بالروضة. وعلى كل جانب من جانبي الصحن المقترح الممتد من ساحة الإمام علي عليه السلام الى الروضة يوجد في الطابق الأرضي رواق عريض مسقف مستمر لحماية المشاة من مطر الشتاء وشمس الصيف الحارة، بحيث يشرف الرواق على الصحن المقترح وتعلوه العقود..... وكذلك المرافق والخدمات العامة التي سنأتي على ذكرها» ان هذه الصحنون المقترحة مزقت هيكل النسيج التقليدي المتضام اذ انها كونت محوراً يخترق المدينة طويلاً ويشطرها الى جزئين، وهذا المحور الطولي افقد الروضة الشريفة والنسيج القديم تلك العلاقة الروحية المادية من خلال النسيج حيث عندما يصل الانسان المتنقل من خلال الازقة المتوتية وصولاً الى المرقد، فإنه يدخل الفضاء

الرأي التخطيطي في مقترح مشروع تطوير مركز مدينة النجف الأشرف وتوسعة الروضة الحيدرية

الواسع لصحن المرقد بشكل مفاجئ، وهذه الانتقالة تعزز الشعور بالخشوع الملازم لتد الاماكن المقدسة. (شكل ١)

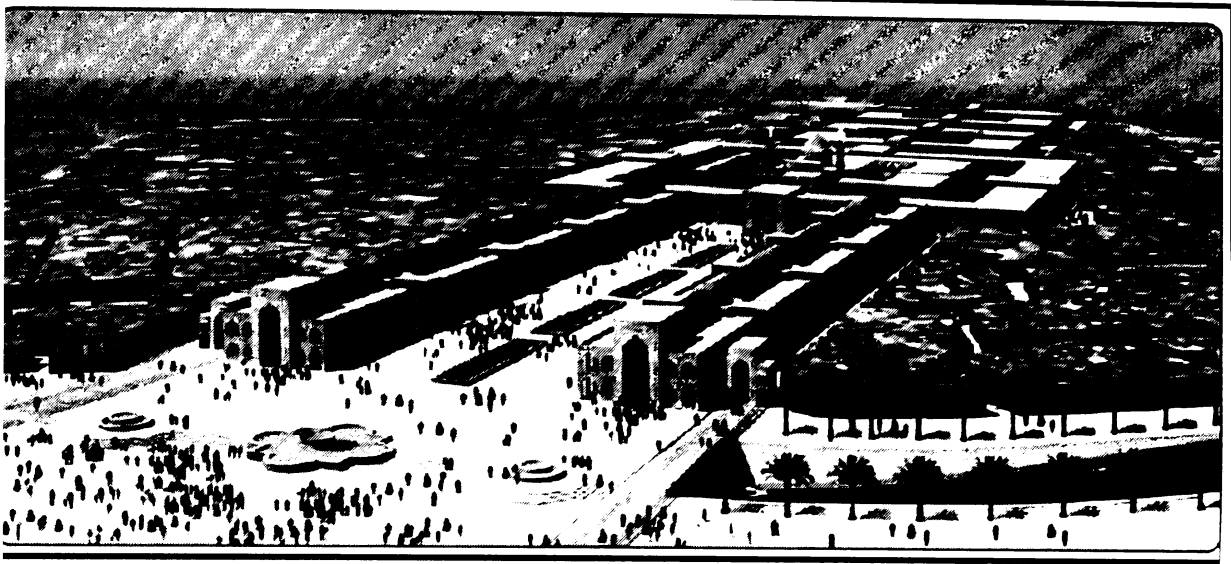


شكل (١)

ثم يطرح فكرة الاسواق الجديدة: «ان الهدف من معالجة التصميم المعماري المقترح مركز مدينة النجف الأشرف هو محاولة احياء استمرارية النمط التقليدي الإسلامي للأسواق القديمة، واستلهامه بأسلوب يجمع بين الأصالة والتراث والحداثة، ويؤكد على الهوية الدينية والتاريخية لهذه المدينة المقدسة. ومن ابرز هذه المعالجات في التصميم الجديد: ايجاد ساحة كبيرين على جانبي الصحن المقترح الممتد من ساحة الإمام علي إلى الروضة الحيدرية ويكمن السوقان ملاصقين للصحن. ان الهدف من بناء هذين السوقين هو احياء وتكريم السوق القديم الذي سيتم هدمه بسبب التشويه العمراني الذي اصابه من قبل النظام البائد بالبلوك الاسمنتي وصفائح الجينكو والذي يغلق المشهد البصري عن مرقد الامام علي عليه السلام الذي يجب أن يكون المرقد هو العنصر المهيمن والأهم في مدينة النجف الأشرف. ويرتبط كل سوق مع الصحن المقترح عبر مداخل، وكل سوق يتألف من ثلاثة طوابق الارضي والطابق الاول والطابق الثاني تحت الارضي..... تعلوها القباب الكبيرة».

نلاحظ انه اشار الى اهمية الأسواق في تكوين المدينة الاسلامية، واهمية هذا السوق في الناحية التاريخية ووجوب الحفاظ عليه كعنصر اثري قديم، لذلك سيهدم السوق القديم ويبنى بدلاً منه سوقاً يذكرنا بوجود القديم؟! كما انه اشار الى ان السوق القديم يغلق المشهد البصري

عن مرقد الامام علي عليه السلام بينما يجب ان يكون المرقد هو العنصر المهيمن والأهم؛ وعاد وناقض ما يقوله بأن اقترح ان يبنى السوق بارتفاع طابقين تعلوها قباب كبيرة ينافس فيه ارتفاع المرقد الشريف. (شكل ٢، ٣)



(شكل ٢)

المنظور الأمامي العلوي



(شكل ٣)

منظور يبين مداخل الأسواق الجديدة والصحن الأمامي الجديد

كما ان هناك معايير دولية خاصة بالحفاظ على المدن القديمة او التراثية اذ هناك اسس معايير للمحافظة على التراث و تشديد على عدم المساس بالتنظيم الفراغي الموجود وه رضى ما تقدم به المصممون من مقترحات حيث من الملاحظ ان التوزيع الفراغي والكتا وارث قد تغير جملة وتفصيلاً ولم يؤخذ بنظر الاعتبار الحفاظ على الطراز المعماري للصحة ارجي وعلاقته ايضاً بتشكيل النسيج الحضري للمدينة.

